كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية - جامعة غرداية
مجلة إسهامات للبحوث والدراسات
E-ISSN.2543- 3636 / P-ISSN.2543- 3539
http: //ishamat.univ-ghardaia.dz/index

الاقصاء الاجتماعي وانخراط الشباب التونسي في الحركة السلفية: دراسة سوسيولوجية ميدانية

ماجد قروي – جامعة صفاقس/ تونس
majedkaroui@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2017/03/04 تاريخ القبول: 2017/05/17

الملخص:

إنّ تنامي انخراط الشباب التونسي في الحركة السلفية بعد الحراك الاجتماعي سنة 2011 وانتقال الحركات السلفية من حالة الستاتيكا إلى حالة الديناميكا، يجعل من الدراسات الميدانية السوسيولوجية ذات أهمّية بالغة، إذ تمكننا من الوقوف على جملة الأسباب المؤدية إلى تسلّفه، وأمام تنوّع هذه الأسباب فإننا اخترنا دراسة العلاقة الارتباطية بين الاقصاء الاجتماعي والشباب المتسلّف، بالعودة إلى الشباب السلفي ومعرفة المعاني والدلالات المقصدية المرتبطة بأفعالهم وتفاعلاتهم الاجتماعية لأن لكل فعل اجتماعي ما يبرّره بالنسبة للقائم به.

الكلمات المفاتيح: الشباب، الحركة السلفية، إقصاء، استراتيجيات

Abstract:

The growth of participation of Tunisian youth in the Salafist movement after the social movement in 2011 and the movement of the Salafist movements from the status of statics to the state of dynamics makes sociological studies of the highest importance on the ground. To enable us to hold on to inter-leading reasons for the involvement of the Salafist movement. Face à la Diversity of these reasons we chose to examine the correlation relationship between social exclusion and Salafist youth To return to Salafist youth and to know the meanings and

connotations associated with their social actions and interactions Because every social reaction Has justification.

Key words: Young، the Salafi movement، exclusion، strategies

مقدّمة:

من نتاج الحراك الاجتماعي في تونس تلاشي المركزية الدينية إذ لم يعد الشأن الديني حكرا على الدولة التي ظلت تتحكم في دواليبه طيلة عقود وهذا التحول المفاجئ من الرقابة المطلقة للشأن الديني إلى الحرية والانفلات أدى إلى ظهور حركات دينية مختلفة تختلف في المضامين والآراء وتشترك في هدف واضح ألا وهو التغيير ومن هذه الحركات الدينية من يغير مواقفه وفقا لمتطلبات المجتمع وحاجياته ومنها من يتمسك بمواقف يراها صالحة لكل زمان ومكان وتعديلها يفقدها جوهرها ما يتطلب نصرتها بكل الأشكال، كلّ حسب منظوره إما عبر المشاركة في الحياة السياسية بالسياسة أو الحياد أو الدخول في صراع مباشر مع مؤسّسات الدولة وتعتبر طريقة التغيير الحد الأبرز الذي يفصل الحركات عن بعضها.. ومن هذه الحركات الدينية نذكر حركات الإسلام السياسي و الحركة السلفية - بشقيها الدعوي والجهادي – التي طرحت نفسها كبديل للمشهد السياسي التونسي، واعتبر كثير منها إن ما حدث عقب ديسمبر عشر وألفين هو نصر إلهي وانهزام للطاغوت واعتبرت التدخل في الشأن الديني حق مشروع خارج عن وصاية الدولة والإملاءات المؤسّساتية بل يستمد مشروعيته من الشريعة الإسلامية ومنهج السلف الصالح بل أنها أخذت تقوم بمهام الدولة في كثير من الأحيان وخاصة في المستوى الأمني معتبرة الدولة مقصرة وعاجزة ومعارضة لشرع الله ودخلت معها في صراع مستميت ومتعدد الجوانب سواء على المستوى الفكري النظري أو التحرك الميداني المادي من أجل تحقيق غاياتها السياسية والاجتماعية ما جعلها موضع تحليل مكثف من قبل وسائل الإعلام المختلفة وحتى في الفضاءات العمومية.

وعموما فإنّ الحركة السلفية ليست بالمفصولة عن السياق الاجتماعي الذي تولدت في خضمه وجملة الأسباب الموضوعية الخارجة عنهم وهي كذلك تعبير عن مقاصد لفاعلين اجتماعيين أرادوا من خلال الانخراط في الحركة السلفية بلورة مقاصد وغايات مدونة وهذا ما سنتطرق إليه بالتحليل على اعتبار أن الحركة السلفية حركة اجتماعية ولدت من رحم المجتمع وأزماته واتخذته بعد ذلك هدفا للتغيير باعتباره يتخبط في دروب الجهل بالدّين و"الضلالات الدنيوية" ما أدى إلى صراع وتنازعية اجتماعية conflictualité social من خلال فاعلين تجمعهم روابط هوّياتية مخصوصة.

التأسيسات النظرية للدراسة:

المفاهيم الأساسية:

مفهوم الشباب اعتمادا على مقاربة جون فرانسوا رينيه:

لئن اعتبر عالم الاجتماع أوليفي قالون الشباب سن " الدخول في الحياة "(René، 1993، 153)أي الدخول إلى عالم المسؤولية والرشد ولا يتم الانتقال إلى سن الرشد إلاّ عبر " الزواج والعمل والاستقلالية عن العائلة" (René، 1993، 15)، فإن جون فرانسوا يعتبر الشباب مجالا اجتماعيا هشّا وليس وضعية مضبوطة بمسار معيّن فالشباب مرتبط بجملة من التحوّلات الاجتماعية. إذ نشهد في ظلّ العولمة هشاشة في العمل وتحوّلات في القيم وأفول للتقليدية.

تعريف الحركة السلفية:

السلفية حركة اجتماعية تنقسم إلى فرعين رئيسيين فرع أوّل يتبنى الجهاد منهجا للتغيير الشامل سياسيا واجتماعيا وثقافيا ويتجلى ذلك في قول أحد أهم منظري السلفية الجهادية أبو بكر ناجي" إن معركتنا هي معركة توحيد ضد كفر و إيمان ضد شرك و ليست معركة سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية "(أبو بكر ناجي، 2004، 112). وشق ثان وهو "السلفية العلمية " ويسمّون أيضا" المداخلة " ويشترك مع الفرع الاوّل في الهدف والمصادر المرجعية لكن يختلف في طريقة التغيير و هي التغيير عن طريق " الدعوة والإصلاح ".

إشكالية البحث:

سنولي اهتمامنا بدراسة علاقة الشباب بالحركة السلفية بوصفها تجربة اجتماعية ذات دلالات ومقاصد، ومن ناحية ثانية ستنصب دراستنا على تحليل العوامل الكامنة وراء تنامي تسلف الفئات الشبابية وعلاقتها التفاعلية ببقية التغيرات الاجتماعية ومنها على وجه الخصوص التجارب التنموية السابقة والأوضاع الهشّة التي يعيشها الشباب التونسي، ما يمكن أن يكون عنوانا لإشكالية مركزية واحدة وهي:

- إلى أي مدى يسهم الإقصاء الاجتماعي في تنامي انخراط الشباب في الحركة السلفية ؟
- وبما أن بحثنا سيهتم بالعلاقة بين الاقصاء الاجتماعي الذي يعيشه الشباب التونسي وتنامي انخراطه في الحركة السلفية يجدر بنا طرح الاشكالية التالية بعين الاستشكال:
- ماهي تمثّلات شباب سيدي علي بن عون للحركة السلفية في أفعالهم وتفاعلاتهم؟

- كيف يسهم الإقصاء الاجتماعي في تنامي انخراط الشباب التونسي والبنعوني خاصة في الحركة السلفية؟

الفرضيات:

- الحركة السلفية فضاء يمكّن الشاب من الرّقي الاجتماعي.
- يسهم الإقصاء الاجتماعي في تنامي تسلّف الفئات الشّبابية.

منهجية الدراسة وعيّنة البحث: سنعمد إلى استخدام المنهجين الكمي والكيفي نظرا لطبيعة الموضوع المدروس الذي يستلزم الإلمام به من جميع جوانبه على هذا الأساس يساعدنا المنهج الكيفي على إدراك بعض المعلومات الغامضة والخصوصية التي يصعب تكميمها ويعني المنهج الكيفي الدخول في علاقة تفاعلية مع الآخر وتشريكه في بناء البحث وهنا علاقة الباحث بالمبحوث هي علاقة تأثير وتأثر ما يمكننا من إدراك الجوانب الخفية لموضوع بحثنا واعتمدنا أساسا على تقنيتي الملاحظة بالمشاركة والمقابلة.

في حين أن المنهج الكمي يساعدنا على جمع بعض المعطيات الكمّية واختبار بعض الفرضيات والحصول على أرقام دقيقة تساعدنا على تحليل الموضوع والحاجة إلى هذا المنهج ملحة خاصة في ما يتعلق بقياس مؤشرات الاقصاء الاجتماعي كالرأسمال الثقافي والوضعية الاجتماعية la situation social للشباب السلفي في مدينة سيدي علي بن عون، ومن خصائصه الدقة والموضوعية. وهذا التكامل "بين المنهجية الكمية والمنهجية الكيفية أمر ضروري لأنه يضمن مزيدا من الدقة والصرامة العلميتين فتقنية الملاحظة مهما كانت دقتها ومهما كان تموقع الملاحظ داخل المجتمع المدروس تظل محدودة ما لم تترافق مع تقنية المقابلة أو الاستمارة". (المنصف وناس، 2014، 13). كلّ هذه التمشيات المنهجية حاولنا تطبيقها عمليا انطلاقا من بحث ميداني أجري بسيدي علي بن عون وشمل عينة تضم 100 شاب سلفي من مدينة سيدي علي بن عون التابعة لولاية سيدي بوزيد.

الخلفية النظرية(البراديغم):

نظرا لخصوصية موضوعنا الذي يهدف إلى فهم العلاقة بين الإقصاء الاجتماعي وتنامي تسلّف الشباب التونسي فإننا سنعتمد البراديغم الفعلاني وهو محاولة للجمع بين البراديغم الوضعي والبراديغم التفهمي من خلال الجمع بين الذاتي والموضوعي عودا على دوافع الفعل الاجتماعي وهي دوافع موضوعية خارجة عن إرادة الفاعل الاجتماعي - وفي موضوعنا توجد عدة دوافع موضوعية جعلت الشباب ينخرط بقوة في الحركة السلفية وهي سياسية واجتماعية تجاوزا للإقصاء وإثباتا لذواتهم ودوافع أخرى ذاتية ترتبط بالفاعل بعيدا

عن ضغوطات البنى وإملاءاتها. وبالتالي جمع بين ما هو ماكروmacro ميكرو micro -سوسيولوجي. ومن هذه الزاوية المعرفية المستجدة لم يعد الفاعل خاضعا خضوعا تاما إلى إكراهية وضغوطات النسق le système وقابعا تحت رحمة آليات الهيمنة وإعادة الانتاج. وفي المقابل ليس كما صورته التفاعلية الرمزية له من الامكانات ما يؤدي حتّى إلى فصله عن انتمائه داخل النسق الاجتماعي عبر الفعل الاستراتيجي، العقلاني والحسابي. لذلك وجب الاعتماد براديغم يتجاوز السوسيولوجيا الكلاسيكية التي تبني المجتمع على اسس النسق والتكامل والوحدة. وتهمش الفاعل في مسلسل تعاقب أنماط الانتاج المضبوطة تاريخيا. وكذلك تجاوز ما تقوم عليه العديد من براديغمات الفعل الاجتماعي من فردانية تراها قادرة على كسر جميع البنيات الاجتماعية وتنتج المجتمع وتتحكم في مساره بل الجمع بينهما عبر فكرة "نسق الفعل"(Touraine)،1984،30.

كما أن دراسة الحركات الاجتماعية (كالحركة السلفية) أحد أهم المنطلقات التي انبنى عليها البراديغم الفعلاني هذه الحركات الاجتماعية لا تختزل الصراع في مجموعة من الطبقات والحقول التي تجمع بين فاعليها مصلحة طبقية لأنّ "الطبقة الاجتماعية قد فقدت قدرتها على الشرح والتعبئة ("الان توران، 2011، 52).

قراءة في بعض الدراسات السابقة:

يعد كتاب إبراهيم الحيدري أحد أهم المؤلفات العربية التي تناولت بالتحليل ظاهرة الإرهاب وعلاقته بالعنف. ومن نقاط قوة هذا الكتاب أنه تعرض لجملة من الأسباب التي تقف وراء الظاهرة الإرهابية لاسيما وأنه سبق منذ البداية أن طرح سؤال لماذا يفجر الإرهابي نفسه وهو منتش فرحا؟ ولكن قبل أن يقف إبراهيم الحيدري على تعريف الإرهاب و جملة العوامل التي تقف وراءه اعتمد تسلسلا منهجيا منظما، حيث انطلق في البداية من تبيان وتعداد أشكال العنف إذ عرفه على أنه "الاستخدام غير المشروع للقوة المادية بغية إلحاق الأذى بالأشخاص والجماعات و تدمير الممتلكات ويتضمن ذلك أساليب العقاب والاغتصاب والاعتداءات المختلفة والتدخل في حريات الآخرين " (ابراهيم الحيدري، 2015، 19) وأضاف أن" العنف خرق وتعد (ابراهيم الحيدري، 2015، 20)" واستنادا إلى هذا التعريف عدد الكاتب أشكال العنف والتي من بينها العنف المؤسس والعنف الرمزي والعنف المقدس. وانطلاقا من المعطيات السابق ذكرها حاول إبراهيم الحيدري صوغ مفهوم سوسيولوجي علمي للإرهاب إذ هو في البداية "شكل من أشكال العنف". وما نستخلصه في هذا الجزء أن إبراهيم الحيدري حاول الابتعاد عن الينبغيات الفكرية والأحكام المسبقة والإيديولوجيات لاسيما وأن العديد من الباحثين يحللون الظاهرة من زاوية أنها انحراف معياري أو deviation يبررون هذه الأعمال ويربطونها بالإسلام.

كما تطرق إبراهيم الحيدري إلى جملة من الأسباب التي يراها متسببة في الإرهاب وهي أسباب مباشرة

وأخرى غير مباشرة. أما الأولى فتشمل الأسباب والعوامل السياسية والعرقية كما هو الشأن في العراق الذي تتجاذبه ثنائية عرقية ساهمت في تعزيز الإرهاب داخله وهم السنة والشيعة أما الأسباب الغير مباشرة فهي الأسباب الاجتماعية بما تعنيه من رساميل اجتماعية كالشغل ومعدل الدخل والاقتصادية كعدم امتلاك الثروة ووسائل الإنتاج والثقافية بما تعنيه من ضعف رأسمال ثقافي وخاصة ضعف المستوى التعليمي للشباب العربي. أما الدراسة الثانية فهي كتاب محمد ابو رمان انا سلفي بحث في الهوية الواقعية والمتخيلة للسلفيين(محمد أبو رمان، 2014) وهي دراسة شملت عينة من المجتمع الأردني تطرق فيها إلى معاش التيار السلفي معتمدا براديغم التفاعلية الرمزية وتقنية المقابلة كأداة لجمع البيانات وتوصل إلى جملة من النتائج من أهمها:

- أن الانتماء للحركة السلفية هو نتيجة لحالة من التشتت والانفصام التي يحاول عبرها التحايل على غربته الاجتماعية وأن الانتماء للجماعة السلفية يخفف من وطأة هذا الانفصام.
- الحركة السلفية هي نتاج لجملة من التحولات الموضوعية السياسية والاجتماعية والعسكرية والنفسية.
- الحركة السلفية ليست بالكتلة الصماء المتشابهة في سماتها بل هي عبارة على جمع من الفاعلين يتأثرون بعلاقاتهم الاجتماعية وفسر هذا الاختلاف بنتائج مقابلاته التي وجد فيها إجابات متفاوتة و متقابلة أحيانا أخرى.
- الحركة السلفية هي عبارة عن وعي هويتي تشكل بعد الهزائم المختلفة التي لحقت بالعالم العربي
- الهوية السلفية هي هوية دفاعية تتأسس على منطق الدفاع عن الذات وهي هوية متجهة من الداخل تبحث عن النقاء والطهورية ومتقوقعة وهذا التقوقع يختلف بين الحركات السلفية المختلفة.

غير أن ذلك لايمنع من وجود بعض النقائص وهي كالآتي:

- شبه انفصال بين البراديغم الذي اعتمده وهو التفاعلية الرمزية وعمله الميداني.
- التركيز على ظاهر الأقوال دون التعمق فيها وتحليلها سوسيولوجيا وفي بعض العناصر هنالك سرد متسلسل لها.
- التركيز على العوامل الموضوعية التي تحرك الحركة السلفية كالعوامل السياسية والفكرية.

دور الإقصاء الاجتماعي في تنامي انخراط الشباب التونسي في الحركة السلفية:

يدخل الاقصاء الاجتماعي في الأسباب الموضوعية لأنه نتاج للبنية وخارج عن إرادة الأفراد ويسمى أيضا الاستبعاد الاجتماعي "وهو نقيض الاندماج أو الاستيعاب، موضوع حيوي وكاشف لطبيعة البنية المجتمعية في أي مجتمع، فالاستبعاد ليس أمرا شخصيا، ولا راجع إلى تدنّي القدرات الفردية فقط بقدر ماهو حصاد بنية اجتماعية معيّنة ورؤى محدّدة ومؤشر على أداء هذه البنية لوظائفها" وأمام تعدد أبعاد الإقصاء الاجتماعي

ومجالاته فإننا سنقتصر على متغيّرات العمل ومتغيّر الدّخل الشهري للشاب السلفي.

هشاشة في العمل ودخل شهري متردّي:

الجدول رقم 1: الإقصاء الاجتماعي من خلال متغير العمل

المهنة	التكرارات	النسبة المئوية
موظّف	8	0،8
طالب أو تلميذ	8	0،8
عمل أخر ثابت	22	0،22
عمل آخر مؤقت ومتغيّر	44	0،44
بدون عمل	18	0،18
المجموع	100	0،100

نلاحظ من الجدول السابق أنّ ما يقارب 44 بالمائة من الشباب السلفي يمتهن مهنا هشّة جعلتهم يعيشون على هامش المجتمع وهو ما يزيد من نقمتهم على الدولة ومؤسّساتها. هاهنا تحصل القطيعة بين النظام والفاعلين الذين تدبروا أمورهم بأنفسهم. ولا نختلف عن جيمس سكوت الذي يقول "أن الفرد الذي يشعر أنه قد أهين، قد ينمي في داخله استيهامات شخصية تتعلق بالثأر والمجابهة، ولكن حين تكون الإهانة مجرد تنويع على الإهانات التي توجه منهجيا إلى عرق بأكمله وإلى شريحة من الناس، فإن الاستيهامات عند ذلك تصبح نتاج ثقافة جماعية ومهما كان الشكل الذي تتخذه – سخرية تلعب خارج المسرح، أحلام بالثأر العنيف، رؤى قديمة تتحدث عن عالم ينقلب رأسا على عقب – فإن هذا الخطاب المستتر جماعيا، يكون أساسيا من أجل الوصول إلى رؤية ديناميكية لمسالة علاقات القوى"(جيمس سكوت، 22). وتتزامن أزمة العمل مع ضعف الدخل الشهري حيث أن أكثر من نصف العينة لا يتجاوز دخلهم الشهري 500 دينار.

الجدول رقم 2: الاقصاء الاجتماعي من خلال متغير الدخل الشهري

الدخل الشهري	التكرارات	النسبة المائوية
أقل من 500 دينار	53	0،53
بين 500 و 1000دينار	42	0،42
فوق 1000 دينار	5	0،5
المجموع	100	0،100

كلّ هذه العوامل تجعلنا نصل إلى مرحلة تفكك العلاقة désarticulation بين الدولة والشباب وفي هذه المرحلة يسعى الشاب إلى إيجاد حلول للمأزومية الاجتماعية التي يعيشها بمعزل عن الدولة. وبالتالي "حشد

الطاقات وتعزيز الضغوط الرامية إلى التغيير الاجتماعي " (أنتوني غدنز، 2006). كما يتجلى الإقصاء في ضعف الدخل الشهري حيث أن الدخل لا يتجاوز 500 دينار لدى 53 بالمائة من عينتنا.

ومن هنا نطرح التساؤل التالي كيف يهتدي الشاب إلى بناء طريق موصلة إلى الاعتراف تأخذ بعين الاعتبار التشكل الهويّاتي؟ لا مراء في أنّ ما يواجهه الشباب من مآزق في هذا المناخ الموتور والمشحون بالإقصاء يحتاج إلى اجتراح سياسات ناجعة لتدبير الهويّات وإدارة الاختلاف وترسيخ ثقافة الاعتراف المتبادل. في هذا السياق أضحى الاعتراف مفهوماً محورياً لفهم المجريات، بل غدا مفهوماً نضالياً وسياسياً لا غنى عنه لدى الشباب السلفي لتأسيس بديل أكثر عدلاً وإنصافاً.

الشباب السلفي ومسار البحث عن الاعتراف:

لعله من نافلة القول التأكيد أنّ مسار الاعتراف لا ينفصل عن سؤال الذات، فالجميع يتطلع إلى أن تحظى ذاتيته بالاعتزاز، لأنّ الذات لا تتميز انطلاقاً من انفصالها عن الآخر وإنما عبر العلاقة معه، وبعبارة إجمالية فإنّ الاعتراف يتصل بتجارب الجور وما تحمله من مشاعر الإذلال والهوان، ونظرا إلى الوضعية الاجتماعية الهشة التي يعيشها الشباب البنعوني فإنه سيبحث عن بديل يعيد الاعتبار لكرامته المفقودة وذاتيته المأزومة. ها هنا أضحت الحركة السلفية ملجأ يوفر للشاب الاعتراف ويمكنه من تعويض ما عجزت عنه الدولة والمجتمع إذ تقدم الحركة السلفية رؤى وتصورات تشحن الشاب بآمال جديدة وتجعله في أعلى السلم الاجتماعي من خلال عبارات الفرقة الناجية وأنصار الشريعة أو فرقة التوحيد أو فرسان الأمة ليدرك الشاب أنه من الفرقة المنصورة التي ستعيد مجد الأمة.

ليخرج من دائرة الضعف إلى دائرة القوة فالمركزية الاجتماعية التي افتقدها الشاب نتيجة تهاوي فكرة الدولة الراعية état providence التي تأخذ على عاتقها التشغيل وتوفير مقتضيات العيش الكريم واستعادتها مجددا بل وأكثر ليشعر أحيانا بالعليّة الاجتماعية وبهذا المعنى تكون الحركة السلفية ليست فقط " مصدرا للفخر والبهجة بل أيضا للقوة والثقة" (أمارتيا صن، 2008، 17) يقول ح. ص 24 سنة" السلفية هي الفرقة الوحيدة التي ترفع راية لا إله إلا الله وتنصر دين الله وكان الرسول ﷺ قد تنبأ بهذا الأمر وقال ستنقسم أمتي إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار عدا فرقة الكتاب والسنة".

هذا وتنطلق الحركة السلفية من فكرة أفول الديني وتراجع الأنظمة القيمية بالمجتمع. وبالنتيجة إلى ذلك تظهر الحركة السلفية لتقدم نفسها كبديل سياسي واجتماعي عبر استغلال الإحباطات والأزمات التي يعيشها الشاب فتسعى قدر الإمكان إلى تعميق التوترات بينه وبين الدولة التي عجزت عن حل مشكلاته ليكون

البديل هو العودة إلى الدين والالتزام بمنهج السلف الصالح إلى حد يجعل الشاب مهووسا بفكرة نصرة شرع الله وإن عبر الجهاد وهذه الأحلام لا تجد حركة اجتماعية تتبنى نفس الفكر الهويتي إلا عبر الانتظام حول الحركة السلفية التي تتفنن بدورها في تصوير الواقع بنظرة سوداوية سواء عبر الخيم الدعوية أو المحاضرات أو الاجتماعات الشعبية في الأماكن العامة كالمعاهد وأمام المساجد أو توزيع المناشير وهي في الغالب مناشير محملة بآيات و أحاديث نبوية يقصد بها تبرير الفكر السلفي كأهمية الجهاد، أو مفهوم الطاغوت و أنواعه أو أهمية الصلاة في المسجد أو تبرير معاداتهم لمن يسمونهم أعداء الإسلام و أنصار الديمقراطية الغربية. وتصحب جل اللقاءات الشعبية أناشيد دينية مخصوصة هدفها التأثير في المستمع و تمرير رسالة خفية إليه. ليشعر بالندم و التقصير و عادة يكون مضمون هذه الأناشيد " الدعوة للجهاد" أو " نصرة الأمة و الإسلام " أو " التأسف على حال المجتمع الإسلامي و الأمة " أو "التنديد بممارسات اليهود و النصارى ". اما المخاطب فيتفنن في إلقاء خطابه بالصراخ حينا و النواح حينا آخر ليفسر أهمية الجهاد و الأوضاع العقائدية لدى الشباب والمجتمع، و الفساد و الانحراف المتفشي لدى الناشئة وفي الآن ذاته يحاول مخاطبة عواطف الشباب السلفي كوصفهم بأسود الأمة وشباب الإسلام. فهو خطاب مخصوص، هدفه التأثير في المستمعين و منهم الشباب لكسب تأييدهم و ضمان انخراطهم في الحركة السلفية.

كل هذه الأساليب التعبوية تشحن الشاب بطاقة معنوية تجعله يفتخر بالجماعة التي ينتمي إليها ويردّد باعتزاز عبارة القادة الجهاديين ومنها ما يردده بعض الشباب السلفي بسيدي علي بن عون عن الخطيب الإدريسي كقولة إن الإسلام إذا حاربوه اشتد وإذا تركوه امتد.... وعندما يجمعك الحديث مع أحد شباب السلفية الجهادية، ويدور النقاش حول ممارسات الجهاديين في سوريا، تجده يشير إلى انسجام ما يجري مع ما ورد من أحاديث الملاحم والفتن وعلامات آخر الزمان، وكأن قيام الساعة بات قاب قوسين أو أدنى، ومع أجواء الإثارة والفضول، التي تمنحها مثل هذه الأحاديث، يتفنن التيار السلفي في تكييفها مع الواقع المعيش وأزماته، وكأنها هي المقدمات التي تحمل بشائر النصر وإرهاصات التمكين. مبشرين أياهم بقرب عودة دولة الخلافة.

وضمن توجه قريب من هذا التصور يرى الفيلسوف الألماني أكسال هناث أنّ منطق المصلحة والمنفعة وحده لا يكفي لفهم الصراعات والنزاعات الاجتماعية، وإنما يجب تعزيزه بنموذج أخلاقي قائم على الاعتراف. وهذا يعني أنّ الأفراد والجماعات تتنازع و تتصارع ليس فقط على أساس المصلحة و المنفعة، وإنما على أسس أخلاقية أخرى، ومنها بوجه خاص ما يتصل بالتجارب الأخلاقية الخاصة بالمهانة والاحتقار والإذلال، أو تجارب الظلم. وأن ممارسات الإكراه والإذلال يمكن أن تصل إلى حد الإقصاء والإبعاد والحرمان من الحقوق، ويمكن أن تتحول إلى بواعث وأسباب لصراع الأفراد والجماعات من أجل حقوقهم، ومن أجل تشكيل هوية إيجابية حول أنفسهم، ومن أجل أن يحصلوا على الاحترام والتقدير اللائقين والمناسبين من قبل الآخرين. حينها يمكن

فهم العنف الذي تمارسه بعض جماعات الشباب السلفي بأنه شكل نضالي للحصول على الاعتراف غير أنه نضال مشرعن تبرره النصوص الدينية التي يبرع الشباب السلفي في تكييفه مع الواقع المعاش.

الحركة السلفية كمصعد اجتماعي:

تسعى الحركة السلفية إلى بناء واقع جديد وفق نموذج نظري جاهز شامل لمختلف جوانب الحياة اجتماعيا وسياسيا وثقافيا واقتصاديا ولتحقيق هذا الهدف باتت الحاجة ملحة إلى تبرير تصوراتها وحشد الطاقات الشبابية وراء هذا المشروع الطامح إلى التغيير الشامل le changement collective. لذلك تسعى إلى تعميق القطيعة بين الشاب وواقعه المعاش عبر التفنن في تصوير الواقع في صورة سوداوية تجعل الشاب ينظر إلى جميع الأمور على أنها دونية ومخالفة للشرع وهو ما تبيناه في قول الشاب م. ص 23 سنة "الحياة دار فناء لا يوجد شيء يعجب أو يفرح ". على أن البديل الذي تقدمه الحركة السلفية هو الذي يؤسس لواقع مثالي ملتزم بالضوابط الشرعية يمكّن الشاب من تجاوز جميع المشكلات التي تواجهه فور تأسيس دولة الخلافة التي ستحقق العدل وتقضي على الظلم. ها هنا تترسخ لدى الشاب فكرة سوداوية الواقع وتنطوي هذه السوداوية والتشاؤمية تحت جملة شعارات كبرى وهي الظلم، الطغيان، الفساد الأخلاقي، مخالفة تعاليم الشريعة. وعندما تترسخ في ذهن الشاب هذه الأفكار تحاول الحركة السلفية استثمار هذه الطاقات الشبابية لتحقيق الحراك والتغيير الاجتماعيين وبذلك يتحمل الشاب مسؤوليته باعتباره طرفا فاعلا في التغيير سواء عبر الجهاد أو نشر الدعوة ليتقبل الفاعلون هذه الأفكار ويساهموا بدورهم في التغيير وهو ما يسمى بالحشد الشعبي.

إعادة تكييف reorientation النصّ الديني كآلية من آليات تجاوز الإقصاء:

يسعى الشاب إلى تجاوز الإقصاء بكل السبل المتاحة، لذلك تعمل الحركة السلفية على إعادة تكييف reorientation للنص الديني ليستجيب لمتطلبات الشباب ويحقق لهم الراحة النفسية. وأمام مشكلاته المأزومة و سعيه إلى التغيير السريع وتشخيصه للوضع يتبيّن للشاب أنه لا سبيل إلى التغيير الآني والسريع لمشكلاته نتيجة الأزمات التي تعيشها الدولة ما يجعله سيميل إلى اختيار الطرف الذي يتبنى التغيير الجذري ويزلزل جميع البنى الاجتماعية والسياسية التي حالت دونه وتحقيق أهم حاجياته المادية والاجتماعية عبر العنف المقدّس الذي يجد مبرّراته دوماً في المقدّس ذاته إلى حد يكون فيه العنف استجابة لأمر سماوي، وهو ما تحرص الحركات الجهادية على إظهاره في نسق متكامل سواء النص القرآني أو الحديث النبوي أو الأحكام الفقهية أو النصوص التاريخية وكتب السيرة والمغازي. وهو ما يفسر تصلب العديد من الشباب في الدفاع عن الجهاد والمجاهدين بأقوال مختلفة منها أنصار الدين والفرقة المنصورة و التنامي المطرد لإعداد الشباب في

جهات القتال. يتبين لنا مما سبق أنّ المقدّس الديني عند الحركات الجهادية على وجه الخصوص لا ينفصل عن العنف، بل يمكن القول إنّ ثمّة تلازماً بين المقدّس الديني والعنف. هذا التلازم امتداد للوليمة الطوطمية، التي كانت تقام بهدف تمتين صلة الجماعة بطوطمها عبر قتل الطوطم والتهامه، بحيث يستمرّ وجوده في كلّ عضو من أعضائها، إلى كلّ أشكال العنف المقدّس الماديّة والرمزيّة الراهنة، ثمة منطق وأحد يحكم تجربة المقدّس: الاعتقاد المشترك بين الجماعة أنّ دينهم هو الدين الحقّ، وكلّ من خالفهم في عقيدتهم هو ضال ومخطئ أو كافر أو مرتدّ Relaps ويجب إخضاعه أو إكراهه على اعتناق الدين الحق.

الاقناع كإستراتيجية منظمّة للتأثير في الشباب:

الاقناع هو أحد الوسائل الفاعلة التي لاحظناها في عملنا الميداني بغية التأثير في الشباب واستقطابهم "الاقناع هو سلوك إنساني تواصلي يستخدمه الإنسان للتأثير على الآخرين لتحقيق ما يريده منهم. فيختار من الأساليب والوسائل التي تمكنه من إحداث هذا التغيير. وبهذه الصورة يعد الاقناع اتصال أي فن من فنون التواصل " وبما أن الاقناع فن تواصلي فإننا بحاجة إلى فهم العملية التواصلية بين الحركة السلفية والشاب وذلك عبر توظيف المفاهيم الأساسية التي تقوم عليها سوسيولوجيا الاتصال "Communication". ومن عناصر الاقناع:

المرسل: وهو الشخص الذي يلقي الخطابات في التجمعات الشعبية بالشوارع أو الخيمات الدعوية ويحظى بتقدير واسع داخل الحركة السلفية. ويستمد شرعيته الخطابية من مدى قربه من أحد مشائخ الحركة السلفية ومدى اكتسابه للعلم الشرعي إذ يلقب على سبيل المثال ب "تلميذ الخطيب الإدريسي". وعادة ما يكون متمكنا من فن الخطابة وهي بمثابة خلفية لنجاح التواصل الاقناعي.

الرّسالة: ويكون مضمونها الدعوة إلى نصرة الدين والتأسف على حال الأمة مما لحق بها من مظاهر مهانة نتيجة انتشار البدع وتقليد الغرب أو كذلك دعوة الجمهور إلى الالتزام بتعاليم الدين وفق منظور الحركة لسلفية وتعديد الانحرافات التي انزلق فيها المجتمع مثل الشرك وزيارة الأضرحة وكذلك موالاة الدولة التي يعتبرونها كافرة وتسمى هذه الثنائية "شرك القبور وشرك القصور". وبعد تعداد هذه الرسائل كلا أو بعضا ينتقل الخطيب إلى ذكر أساليب التغيير عبر تبيانه أهمية الجهاد ودوره في نصرة الدين وإحداث الحراك والتغيير.

المتلقي: جلّ المتلقين للرسالة من فئة الشباب، يتابع هؤلاء بشغف كلام الخطيب ويتحمسون له.

أثر الرسالة: عندما يستقبل الشاب الرسالة ويفهمها يشعر بتأنيب ذاتي إذ يرى نفسه مخالفا لدين الله

وغارقا في المعاصي. ما يجعله يؤول كلّ مشكلاته على أنها عقاب رباني جعله في أسفل الهرم الاجتماعي.

ردّة فعل المتلقي: تكتسي هذه المرحلة أهميّة بالغة لأنها بواسطتها يمكن معرفة مدى تأثير الرسالة على المتلقي. وفي صورة نجاح الخطيب في إرسال رسالته تصدر عن الشباب هتافات وتكبير متتالي. وكأن بالشاب يريد أن يقول ها نحن هنا موجودون وقادرون على التغيير وتجاوز الاقصاء الاجتماعي.

محركات الاقناع: يحتاج الاقناع إلى جملة من الآليات ليكون فاعلا ومؤثرا في المتلقي (الشباب السلفي) لذلك عرفه الفيلسوف اليوناني أرسطو على أنه " استخدام جميع الوسائل الممكنة في التأثير" (راكان عبد الكريم حبيب، 24) ومن محركات الاقناع التي تعتمدها الحركة السلفية:

الدّين: يعد الدين أحد أهم ميكانيزمات الاقناع لذلك يعمل الخطيب على اختيار الآيات والأحاديث الدينية التي تحمل الشبيبة على القبول والحراك Mobilization. وللدين دور هام في شحذ همم الشباب للدفاع عن الأوطان والعقيدة السلفية. لاسيما وأن الدين أحد المرجعيات التي يستنبط منها الكثير من الفاعلين نماذج مثالية يقيسون بها أفعالهم وبذلك فإن "القناعات الإيمانية متوفرة- أصلا- لدى الفرد، لا يحتاج المرسل خلالها إلى تأسيس إيمانات وقناعات جديدة. بل يستغلها بالنداءات الدينية وما تحمله من محفزات وإرشادات وتوجيهات " (راكان عبد الكريم حبيب، 85). يعني أن الاقناع الذي يوظفه خطباء الحركة السلفية يستغل هذه القناعات الدينية الراسخة لدى الفاعلين عبر مؤسّسات التنشئة الاجتماعية كالعائلة والمسجد.. عبر فبركتها وتعديلها لتتناسب مع أهدافهم التي تختلف عن قناعات الآباء والأجداد. ويوظف الدين من خلال ثنائية الترغيب والترهيب. أي الترغيب بما هو تحفيز للشاب بجزاء اتباع الحركة السلفية بماهي فرقة ناجية ومنصورة ومآلها الجنة. ويكون الترهيب عبر الاتيان على مواضيع تجعل الشباب يشعرون بنوع من الخوف من العقاب الذي سيلقاهم إذا ما واصلوا اتباع مجتمع تائه في الضلالات أو طاعة دولة كافرة. ومن موضوعات الترهيب "عذاب القبر و"علامات قيام الساعة" و"العقاب الذي لقاه الظالمون من قبل "

الصوت والجسد: يساهم الصوت في الإقناع فالخطيب من الحركة السلفية يتفنن في تغيير نبرات صوته ويتوقف بين الجملة والأخرى ما يهيأ الجمهور للانتقال من معنى إلى آخر. أما الرفع في الصوت فيدل على أنه يناقش موضوعا مهما كتحفيز الشباب على الجهاد أو تعزيز نقمتهم على مجتمعهم. أما خفض الصوت فيهدف إلى جعل الشباب يتأمل ويفهم الفكرة بسلاسة. ويتعمد الخطيب إطالة بعض الكلمات وهي الكلمات المفاتيح التي ينبني عليها الفكر السلفي مثل الأمة، الجهاد، الخلافة... وتوازيا مع إيقاعات الصوت ونبراته يحاول الخطيب نقل مشاعره عبر البكاء أو الضحك بسخرية أو الابتسامة وذلك بغية التأثير في المستمعين وشد انتباههم. أمّا حركات الجسد وهي حركات ينقل بواسطتها المرسل آراء وأفكار تتجاوز معناها الظاهري فحركات

اليد المضمومة التي يستخدمها الخطباء بكثرة تبرز القوة والصرامة والحزم. وما يعزز قدرتهم على الاقناع الانسجام الكلي لحركات الجسم مع نبرة الصوت. وهذه الحركات تساهم في تعزيز ثقة الشباب في الخطيب وتدل على قوة شخصيته ومعرفته الواسعة بالدين.

التصفية بالمقارنة: تهدف التصفية بالمقارنة إخراج ممارسات المخالفين على أنها في قمة الانحطاط عبر مقارنتها بنماذج أخرى ومن ذلك مقارنة الفاعلين الذين يقومون بزيارة الأضرحة على أنهم يتبعون طقوس شبيهة بطقوس الجاهلية إذ كانوا يعبدون الأصنام ويقدسونها. تسمى هذه التصفية بالمزايدة المحاكاتية" على حدّ تعبير محمد الخراط وهو "أسلوب في الرفع من التزام الذات بالخط المستقيم، والحطّ من قيمة التزام الخصم" (المنصف وناس، 2014، 277).

الاستنتاجات:

نستنتج مما توصلنا إليه في عملنا الميداني أن الإقصاء الاجتماعي مسؤول رئيس على تنامي أعداد الشباب السلفي ذلك أن الاوضاع الاجتماعية المأزومة التي يعيشها الشاب في سيدي علي بن عون والشاب التونسي عموما تجعله يبحث عن بديل يوفر له ما عجزت عنه الدولة ومؤسّساتها من مدخول ورأسمال رمزي يعلي من مكانته في الهرم الاجتماعي باعتباره ينتمي إلى الفرقة الناجية.

يبحث الشاب من وراء انخراطه في الحركة السلفية عن الاعتراف وتجاوز الوضعية الهامشية التي يعيشها. تعتبر الدولة وسياساتها أحد العوامل المساهمة في تنامي الشباب المتسلّف لاسيما بتهميشها للشباب ووضعه خارجة دائرة التبادل المعياري وينتج عن ذلك شعور بالضغينة والغبن مايجعله يتحمس للحركة السلفية ويدافع بضراوة عن مبادئه والثأر لوضعه الهشّ.

خاتمة:

تعتبر الحركة السلفية حركة اجتماعية تولدت نتاجا لتفاعلات فاعلين لهم مقاصدهم وغاياتهم وهويتهم الخاصة التي تحقق لهم التمايز عن بقية الفعلين الاجتماعيين. ويعتبر الشباب من بين أهم الفاعلين في الحركة السلفية. والحال تلك علينا أن نبحث عن المعنى وفي المعنى. فشبيبة ضاقت بها السبل ستلجأ للحاضنة السلفية " لتعيد الاعتبار لذات "محبطة" وفاقدة للأمل. فتكون بذلك الحركة السلفية الحل الأمثل لتجاوز ضغوطات الواقع المعيش. وتجاوز الإقصاء و تهميش" الدولة كافرة" التي يحكمها "الطاغوت". فاللجوء إلى الحركة السلفية يبعث في نفوسهم ولو قليلا من الأمل من خلال مفاهيم ومسميات تجعلهم يشعرون بالارتقاء في مكانتهم الاجتماعية والرمزية من منطلق ديني مثل "الفرقة الناجية والمنصورة" وأنصار الإسلام "وغيرها. وكرد

فعل على الإقصاء والتهميش يدخل هؤلاء الفاعلون في صراع مع مؤسّسات الدولة والمجتمع تحت "غطاء الدين لإضفاء مشروعية على أفعالهم وممارساتهم. حتّى أن الديني يفبرك في الكثير من الأحيان ليستجيب لمتطلبات وحاجيات الشباب السلفي. ومن هذا المنطلق يدخل الشاب السلفي في علاقة صراعية مع الآخر المختلف الذي يمثل عائقا أمام أهدافهم وغاياتهم. فيكون الدين "الحل الأمثل" لإقصائه عبر وصمه "بالكافر" أو "المرتد" أو عدو "الإسلام".. هنا تترسخ عقيدة إما الأنا أو الآخر في "المخيال السلفي".

قائمة المراجع:

1. إبراهيم الحيدري(2015). سوسيولوجيا العنف والإرهاب: بيروت: دار الساقي.
2. أبو بكر ناجي (2004).ادارة التوحش: أخطر مرحلة ستمر بها الأمة: الكويت: مركز الدراسات والبحوث الاسلامية.
3. ألان توران(2011).براديغما جديدة لفهم عالم اليوم. ترجمة جورج سليمان: لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان.
4. أنتوني غدنز(2006).مقدمة في علم الاجتماع. ترجمة أحمد زايد وآخرون: القاهرة: مركز الدراسات والبحوث الاجتماعية.
5. جون هيلز وجوليان لوغران ودافيد بياشو (2007). الاستبعاد الاجتماعي محاولة للفهم. ترجمة محمد الجوهري: الكويت: عالم المعرفة.
6. جيمس سكوت (2015).المقاومة بالحيلة: كيف يهمس المحكوم من وراء الحاكم.ترجمة ابراهيم العريس وميخائيل خوري: بيروت: دار الساقي.
7. راكان عبد الكريم حبيب (2012).هندسة الاقناع في الاتصال الانساني: السعودية: مكتبة دار جدة.
8. محمد أبورمان(2014). أنا سلفي: بحث في الهوية الواقعية والمتخيلة لدى السلفيين: عمان: مؤسسة فريديريتش أيبرت.
9. المنصف ونّاس(2014).الشخصية التونسية: محاولة لفهم الشخصية العربية: تونس: الدار المتوسطية للنشر.
10. Alain Touraine (1984).le retour de l'acteur paris: Librairie Arthème Fayard.
11. Jean – François René(1993). sociologie et société: paris: vol 25 n1.